فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "يُحِبهم ويُحِبونه"

عفوٌ يحب العفو

لفضيلة الشيخ: مسعد أنور

رابط المادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-30042.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأزواجه وأصحابه وأتباعه ومَن والاه. أما بعد:

فإخوتي في الله، أخواتي في الله إني أحبكم في الله، والله أسأل أن يجمعنا بهذا الحب في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

أحبتي في الله مازال الحديث بنا موصولاً مع الذين يحبهم الله ويحبونه، اللهم اجعلنا منهم ، اللهم اجعلنا معهم، وهذه هي الحلقة الأولى بعد العشرين وقد جعلتها تحت عنوان..

عفوٌ يحب العفو

أحبتي في الله ها نحن نتنسَّم الآن نسائم العشر الأواخر من رمضان، وهذه العشر فيها ليلة كما علمنا ربنا في قرآنه "خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ" القدر:٣، ليلة ملآنة بالبركات والدرجات والفضائل والمنح والعطايا، الموفَّق السعيد مَن وُفِّق لها، الموفق السعيد مَن أفلح وحازها، فاللهم اجعلنا ممن يوفَّقوا لليلة القدر يا رب العالمين.

روى الإمام الترمذي في كتابه الدعوات والحديث صححه الألباني –رحمه الله تعالى– في صحيح الجامع عن الصِّديقة بنت الصديق –رضي الله عنها– قالت: "يا رسول الله أرأيت إن وافقتُ ليلة القدر؛ ما أدعوا قال: تقولين اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني" إذن من أسماء الله وصفاته العفوّ، فهو عفو يعفو ويحب الذين يعفون عن الناس، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عني، ما أحلاها من دعوة! ما أجمعها من دعوة!

علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أن نتوسل إلى الله –عز وجل– باسمه وبصفته فهو عفو اسمه العفو ومن صفاته أنه يعفو ويحب العفو جل جلاله، وهذا من التوسل المشروع، فالتوسل المشروع يكون بأسماء الله الحسنى، أو بصفاته العُلى، مجتمعة، أو مُنفردة، التوسل المشروع يكون بدعائك أيها العبد لنفسك، سيما إذا قدمت بين يدي الدُعاء عملاً صالحًا أخلصت فيه لربك عز وجل، يكون التوسل المشروع بدعاء الصالحين من الأحياء.

وقد علَّمنا رسولنا في ما رواه مسلم "دعوة المسلم لأخيه، بظهر الغيب، مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل" الراوي صفوان بن عبد الله بن صفوان بن أمية، ولا يجوز لنا

أن نتوسل بمَلَك مُقَرَّب ولا بنبي مُرسل ولا بولي ولا بنحو هذه الأشياء، لا نتوسل بجاه مَلَك،لو كان النبي بين أظهرنا حيًا لقلنا له: ادعُ الله لنا يا رسول الله، استغفر لنا يارسول الله، وهذا توسل مشروع، أما بعد موته فلا يجوز التوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم.

الله عفوّ، من أسمائه العفوّ، وأسماء الله توقيفية، أسماء الله توقيفية؛ فلا يحق لأحد كائنًا مَن كان أن يُسمي الله عز وجل بما لم يُسمِّ به نفسه، وبما لم يُسمِّه به رسوله قال تعالى: "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ" الأعراف:١٨٨

لا يليقُ لأي أحدٍ أن يسمي الله اسمًا لم يثبُت في القرآن، ولم يأتِ في السُّنة كما فعل البعض، البعض سمى الله العِلة الفاعلة، والبعض قال: هو المهندس الأعظم، ونحو هذه التُرّاهات والأباطيل، الله عفو.

ما معنى كلمة العَفْو؟

قال ابن منظور: "العفْو لغة هو التجاوز عن الذنب، وترك العقاب عليه، وأصلهُ المحو والطمس" ، كلمة عَفْو معناها في اللغة المحو، الطمس، الإزالة، نقول عفَت الرياح الأثر إذا محتها وأزالتها.

وقال الخليل بن أحمد –رحمهُ الله– "العفو هو الترك وكل مَن استحق عقوبة فتركته فقد عفوت عنه".

ويأتي العفو في اللغو بمعنى الكثرة نقول عفا آل فلان؛ أي العائلة كبرت، وأهلها كُثُر، ونقول عفا شعر فُلان إذا طال واسترسل يقول ربنا "وَيَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ" البقرة:٢١٩.

العفْو يعني ما زاد عن الحاجة، ما زاد عن قوتك، وقوت زوجتك، وقوت عيالك، العفْو يعني الفضل.

والله هو العفوّ فهو الذي يحب العَفْو والستر، ويغفر عن الذنوب، مهما كان شأنها، يستر العيوب، ولا يحب الجهر بها، ويعفو عن المُسيء، إكرامًا وإحسانًا ويفتح واسع رحمته فضلاً وإنعاما قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ" النساء: ٤٨

إذن ما الفارق بين العفو والذُّل؟ قال ابن القيم: "العفو إسقاط حقك تكرمًا، وجودًا، وإحسانًا مع قدرتك على الانتقام، بخلاف الذل؛ فإن صاحبه يتركه عجزًا وخوفًا وضعفًا" والمُنتقم بالحق أفضل من الذليل؛ لأن الله تعالى قال: "وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ" الشورى:٣٩

العفو الذي هو عند المقدرة، رجُل يدهس على قدمك بقدمه، فتلتفت إليه تقول له: اتقِ الله يا أخي، خذ بالك، يقول لك: أنت لم تأخذ بالك، أنت قادر أن تفرُمه، قادر أن تُكسر عظامه، ومع ذلك تقول له: الله يسهل لك، اذهب يا أخي، ربنا يسامحك، اللهم إني صائم، هذا هو العفو عند المقدرة.

إنما أخ آخر يركب الأتوبيس، فإذا بآخر يصدمه، فقال: ألم ترى يا أعمى؟ والتفت إلى الذي صدمه، فإذا به فارع الطول، والعرض عرضان، من لاعبي كمال الأجسام، ذراعه هكذا، فقال له: روح يا شيخ الله يسامحك هل هذا عفو؟ هذا ذُل أنت تركت حقك؛ لأنك ضعيف، لأنك جبان، لأنك خائف، متى يكون عفوًا؟ إذا كان عند المقدرة، هكذا قال ابن القيم.

ماذا قال ربنا في هذا الشأن؟ قال تعالى: "وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ" النور:٢٢، إذن الذين يعفون عند المقدرة يُحبهُم الله، الذين يعفون عند المقدرة سيغفر لهم الله، ولذلك هذه الآية نزلت في الصديق؛ لما سمع أن مسطح وقع في عائشة، وخاض في الذي خاضوا، وكان الصديق يُنفق على مسطح، فأقسم الصديق أن يمنع العطية عن مسطح جزاء ما وقع في عائشة –رضي الله عنها– فعتب ربنا على الصديق وقال له لا تقطع العطية عن هذا الرجل، سيما أنه قد تاب، أناب، وأقيم عليه الحد، قال: " وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ" النور:٢٢.

نماذج من العفو

بلال مع أبي ذر اختلف بلال مع أبي ذر في مسألة، فقال أبو ذر –رضي الله عنه–: حتى أنت يا ابن السوداء، حتى أنت ابن السوداء لك رأي! حتى أنت يا ابن السوداء، فغضب بلال، وانطلق إلى النبي، واشتكى أبا ذر، فبعث النبي لأبي ذر وقال: "يا أبا ذر أعيَّرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية" فانطلق أبو ذر، ووضع خده على التراب، وقال يا بلال: "إما أن تعفو عني أو تدهس بقدمك على وجهي" قال بلال: "عفوت عنك يا أخي غفر الله لي و لك" هذا هو العفو عند المقدرة.

معاوية –رضي الله عنه– في وقت إمارته كان له بُستان في المدينة، هذا البُستان لصيق ببُستان لعبد الله بن الزُبير، دخل عبيد معاوية إلى أرض ابن الزبير فأفسدوا فيها، فبعث ابن الزُبير رسالة من نار إلى أمير المؤمنين معاوية فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم من عبدُ الله بن الزُبير بن العوام، حواري رسول الله، ابن أسماء ابنة أبي بكر –ذات النطاقين– إلى معاوية –هكذا بدون لقب الأمير– بن هند آكلة الأكباد، لقد دخل عبيدك إلى أرضي، وأفسدوا فيها فإن لم ينتهوا ليكونن بيني وبينك شأن والسلام".

هكذا رسالة فيها جفاء، رسالة شديدة اللهجة جدًا، قرأها معاوية –رضي الله عنه– على ولده يزيد، وكان في يزيد تهوّر، قال: ماذا نصنع يا يزيد؟ قال: ماذا نصنع؟! أبعث جيشًا أوله في المدينة وآخره في الشام يأتونك برأسه، قال معاوية: لا، بل اكتب "بسم الله الرحمن الرحيم من معاوية بن أبي سفيان إلى عبد الله بن الزُبير بن العوام، حواري رسول الله، بن أسماء ذات النطاقين، يا ابن أخي: اعلم أن الدنيا لو كانت بيني وبينك ثم طلبتها لأعطيتها لك، ولا أبالي، فإذا جاءك خطابي فضم أرضي إلى أرضك، وعبيدي إلى عبيدك، والسلام عليكم ورحمة الله" فلما وصلت الرسالة إلى ابن الزُبير بللها بدموعه ثم سافر إلى الشام وقبَّل رأس معاوية، وقال: "لا أعدم الله المسلمين رجُلاً لهُ عقل كعقلك".

هذا هو العفو عند المقدرة كذا قال رب العالمين: "فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ" الشورى:٤٠، فمن عفا وأصلح فقد وقع أجره على الله، كذا قال رب العالمين: "وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" آل عمران:١٣٤.

دعا هارون الرشيد الجارية حتى تصُب الماء على رأسه، فسقط السطل من يدها على رأس هارون، وفار الدم، فقالت البنت: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول "وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ" فعض على أضراسه، وقال: كظمت غيظي قالت: "وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ" قال: عفوت عنك، قالت: "وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" آل عمران:١٣٤قال: اذهبي فأنت حُرة، أي أخلاق هذه!

خرج عمر بن عبد العزيز ليلة إلى المسجد فدهس بقدمه على جسد رجُل نائم، فقام النائم مُغضبًا، وقال: هل عَميت؟ وهو لا يدري أنه صرخ في وجه أمير المؤمنين، هل عميت؟ فقال رئيس الشُرط: اقبضوا عليه، قال عمر: ولِمَ ؟ قال: لقد سبَّك يا أمير المؤمنين، قال عمر: "ما سبَّني، بل سألني، يقول لي: هل عميت؟ لست أعمى يا عبد الله، اصفح عني اغفر لي" ثم أمر رئيس الشرط أن يترضى الرجل لأنه ذعَّره وخوَّفه وفزعه .

مكارم الأخلاق في ثلاثة؛ فمن كملت فيه فذلك الغَني، إعطاء مَن يحرمه، ووصل مَن يقطعه، والعفو عمَّن اعتدى، قال رسول الله والحديث رواه أبو داود والترمذي وأحمد: "مَن كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين ما شاء".

كذا قال ربنا: "وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ" الشورى:٣٠.

أمرنا بالعفو فقال: "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِض عَنِ الجَاهِلِينَ" الأعراف١٩٩.

الله عفو يا عباد الله يحب العفو جل جلاله، واسمع إلى هذا الحديث الرائق الذي رواه مسلم في صحيحه عن حُذيفة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله –صلى الله عليه وسلم– " أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالاً، فقال له ماذا عملت في الدنيا، قال: يا رب إنك آتيتني مالا فكنت أبايع الناس، وكان من خُلقي الجواز، فكنت أتيسر على الموسر، وأنظر المعسر، فقال الله: أنا أحق بذا منك تجاوزوا عن عبدي أنا أحق بالعفو منك تجاوزوا عن عبدي"

وروى أبو داود والحديث صححه الألباني عن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الدعوات حين يمسي وحين يصبح يقول: "اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي"

وروى النسائي وصححه الألباني عن عوف بن مالك، قال: سمعت النبي يدعو لميت فيقول "اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعفُ عنه، وأكرم نزله، ووسع مُدخله، واغسلهُ بالماء، والثلج، والبرَد، ونقِّه من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس"

رسول الله كان من خُلقه العفو، لما دخل مكة، وأصبح أهلها في قبضة يده، وكان يمكنه بإشارة أن يُطير رقاب، لكنه عفا وسامح، والكلام في عفو النبي كثير.

يا عباد الله إذا أردتم أن تفوزوا بمحبة الله لكم فإن الله عفو يحب العفو اعفوا، سامحوا، اصفحوا، اغفروا، تجاوزوا

يحبكم الله، ويغفر لكم الله، ويقع أجركم على الله، أسأل الله عز وجل أن يجعلنا من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والمحسنين الذين يحبهم الله ويحبونه.

أحبكم في الله، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على موقع الطريق إلى الله في قسم تفريغ الدروس تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36